

في نور محمد فاطمة الزهراء

العالمين حكمة عقل، ولا يعدلها استواء عدل؟ وولّى الخطر، طابت الأنفس، قرّت الأعين، جاء السلام، أمنت البلدة الحرام. * * * الذين عاشوا من أبناء مكة، ذلك اليوم العظيم في الأيام، خالجهم شعور لا يمارون في صدقه، يؤكّد لهم أنّ الأمن الذي عاد إليهم إنّما كان تبعاً ليؤمن ذلك الحكم الشاب. ولاعجب، فالعرب أمة تتشاءم وتتفاءل، الشرّ في اعتقادهم دائماً رهناً بطالع منحوس، والخير في اعتقادهم دائماً رهناً بطالع سعيد. ومحمد، فيما رأى كثيرون منهم وعهدوا، بشير خير، قرين يؤمن وإقبال، مسعود النجم، محمود الاسم، مبارك الكلمة، ميمون الغدوة والروحة على امتداد أيامه منذ عرفوه. أليس فيهم إلاّ من استشعر فأله، وأيقن فضله، لحظة أن وضع الحجر الأسود موضعه بيؤمناه، إذ لأم صدعهم، ولم شتاتهم، فجعلهم وحدة مؤتلفة كأنّما قال صرهم جميعاً في ذلك الكساء الأبيض الجديد من متاع الشام؟ أليس فيهم من آنس اليؤمن من محيّاها الضاحي، وهو بعد وليد في مهده، يوم تمزّق أصحاب الفيل وتناثروا على ثرى مكة بغير قتال؟ بل إنّ فيهم لمن رأى هذا اليؤمن يضيء أيضاً وجوه أهل داره الصغيرة، فإذا هم بين بشير قد أودع هيئة توحى الطمأنينة إلى نفوس غيره من الناس، وبين أثر اختصّ بآية تنبئ عن جليل قدره عند الله. لكأنّما شاء ربّه أن يجعل اليؤمن في من يشاركونه حياته الخاصّة المحدودة آنذاك كما جعله فيه، لكأنّما ارتأى سبحانه أن يوفّر حوله من مظاهر الفأل الحسن ما يوافق طرق اللين المسموح [250] الراجي، الذي يكلّف بالتبشير، ويأنف بالتنفير، ويتأمّل